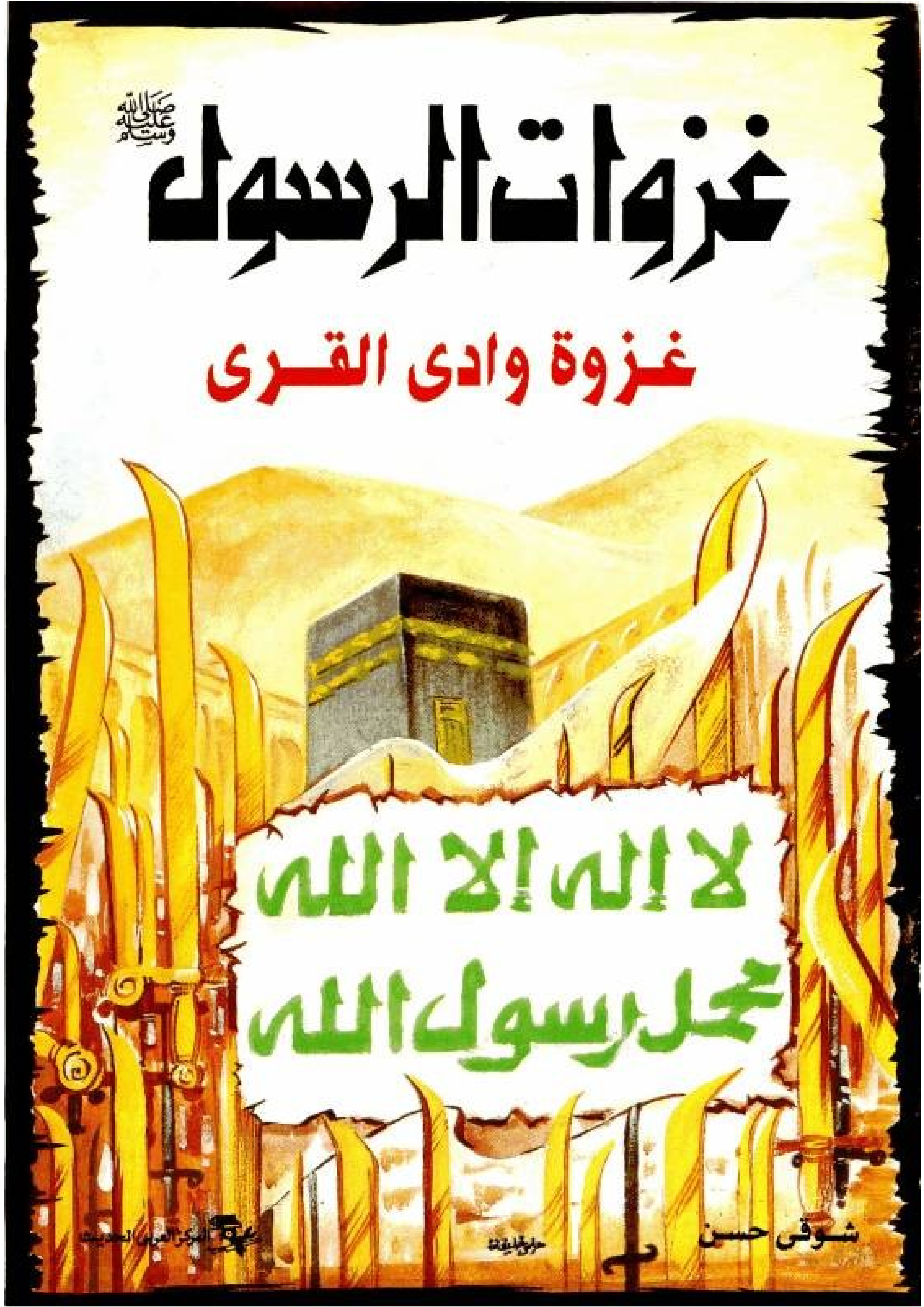

غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم
غزوة وادى القرى
لا إله إلا الله
محمد رسول الله
شوقى حسن
المركز العربى الحديث

وَادِي الْقُرَى ،مَكَانٌ كَانَ يَسْكُنُهُ الْيَهُودُ الَّذِينَ تَحَالَفَ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ عَلَى أَنْ يَتَصَدُّوا لانْتِشَارِ الإِسْلامِ مَهْمَا كَانَتْ تَضْحِيَـــاتُهُمْ . وَلَمَّا فَرَغَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَهُودِ خَيْبَرَ ، رَأَى رَسُولُ الـــلَّهِ صَلَّى الـــلَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَذْهَبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى وَادِي الْقُرَى لِيَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلامِ





عَلِمَ يَهُودُ وادى الْقُرَى بما أرادَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واسْتَعَدُّوا لقتالِ الْمُسْلمين ، ومعهم جماعة من الْعرب ، وتحصنوا في حصونهم ، فلمَّا وصل جيْش الْمسلمين إلى وادى الْقُرى استقبلهم اليهود ومن معهم ، فتراشقوا بالنبال ، فاستشهد أحدُ الْمسلمين

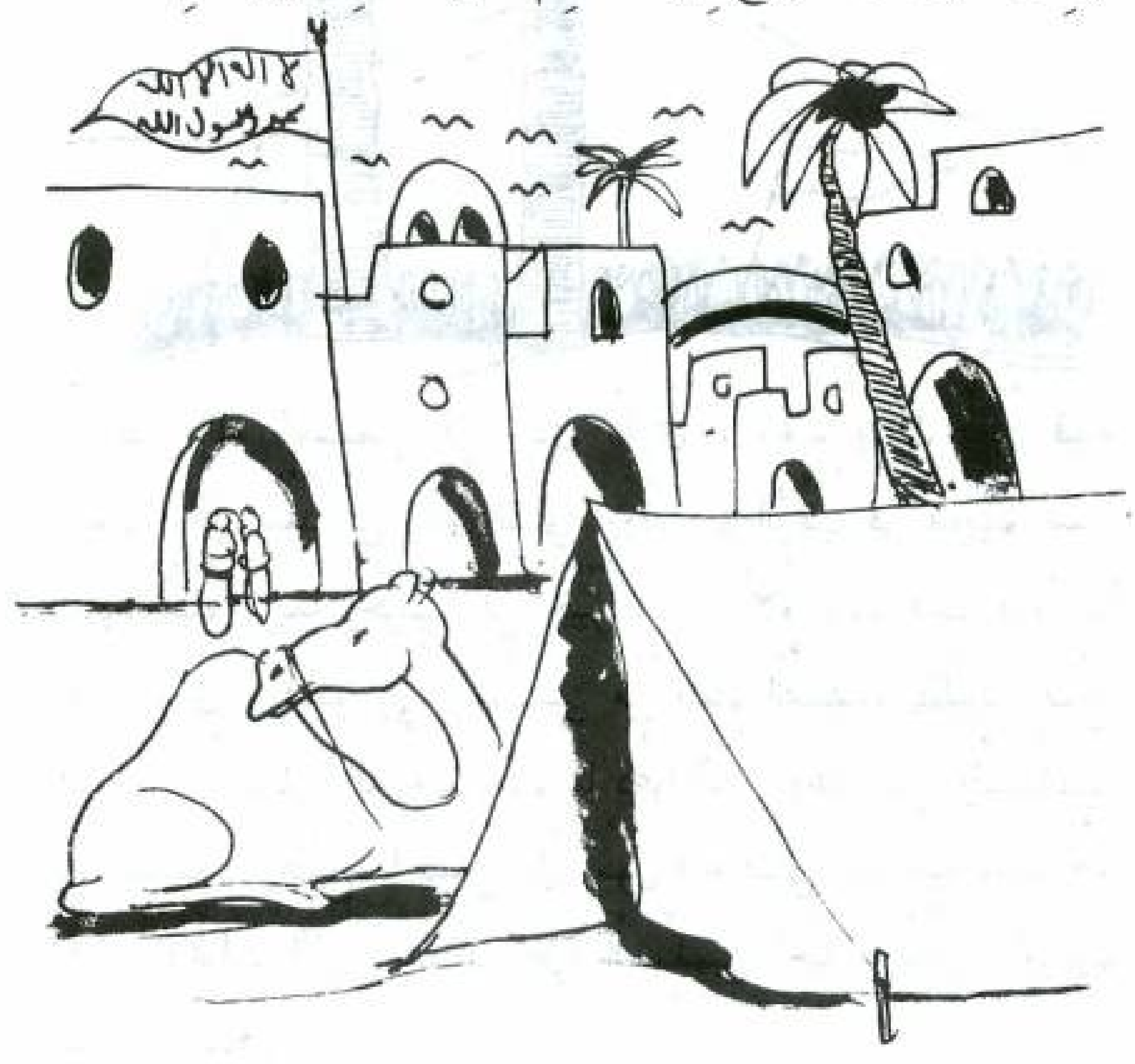
أَعَدَّ رَسُولُ اللَّـــهِ صَلَّى الـــلَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ لِلْقِتَالِ وَصَفَّهُمْ ، ثُمَّ دَعَا الْيَهُودَ وَمَنْ مَعَهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ ، فَأَبَوْا قَائِلِـينَ لَنْ نَكُونَ مِثْلَ يَهُودِ خَيْبَرَ ، وَسَتَكُونُ الْغَلَبَةُ لَنَا ثُمَّ بَرَزَ أَحَدُ قُوَّادِهِمْ قَائِلاً : مَنْ يُبَارِزُنِــي ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ الـزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الْمُبَارَزَةِ أَطَاحَ بِهِ الزُّبَيْرُ وَقَتَلَهُ.

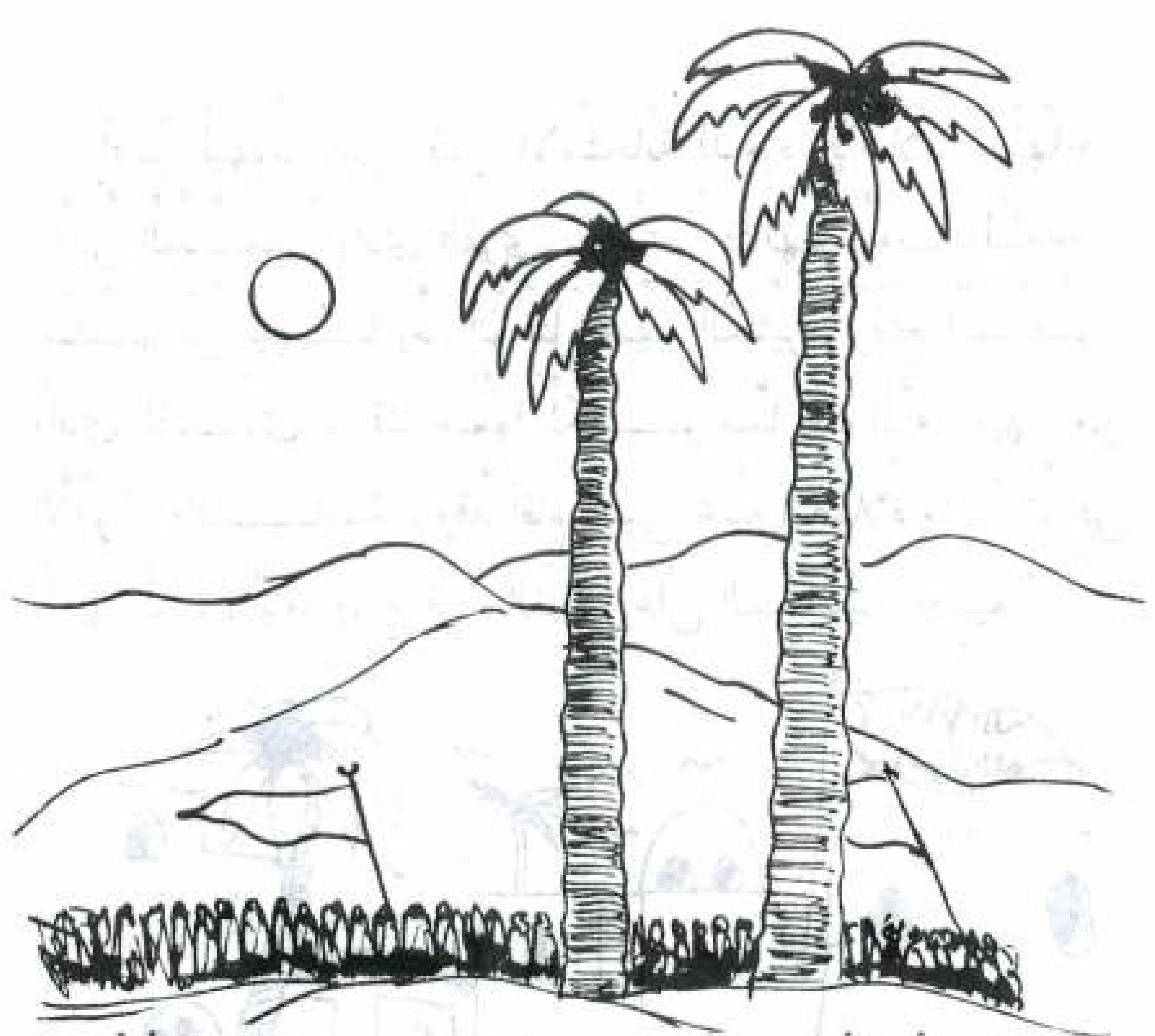




خرج يهوديٌّ آخر ، وقال في غرور من ينازلني ؟ فخرج إليه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، ودار بينهما القتال فترة، ثمّ أطاح به علي رضي الله عنه وقتله ، فخرج يهوديٌّ آخر يطلب المبارزة ..وهكذا حتى قتل المسلمون منهم ثلاثة عشر رجلاً ، خرجوا للمبارزة واحداً تلو الآخر ، وكلّما قتل منهم رجل دعا المسلمون من بقي للإسلام فلا يستجيبوا .

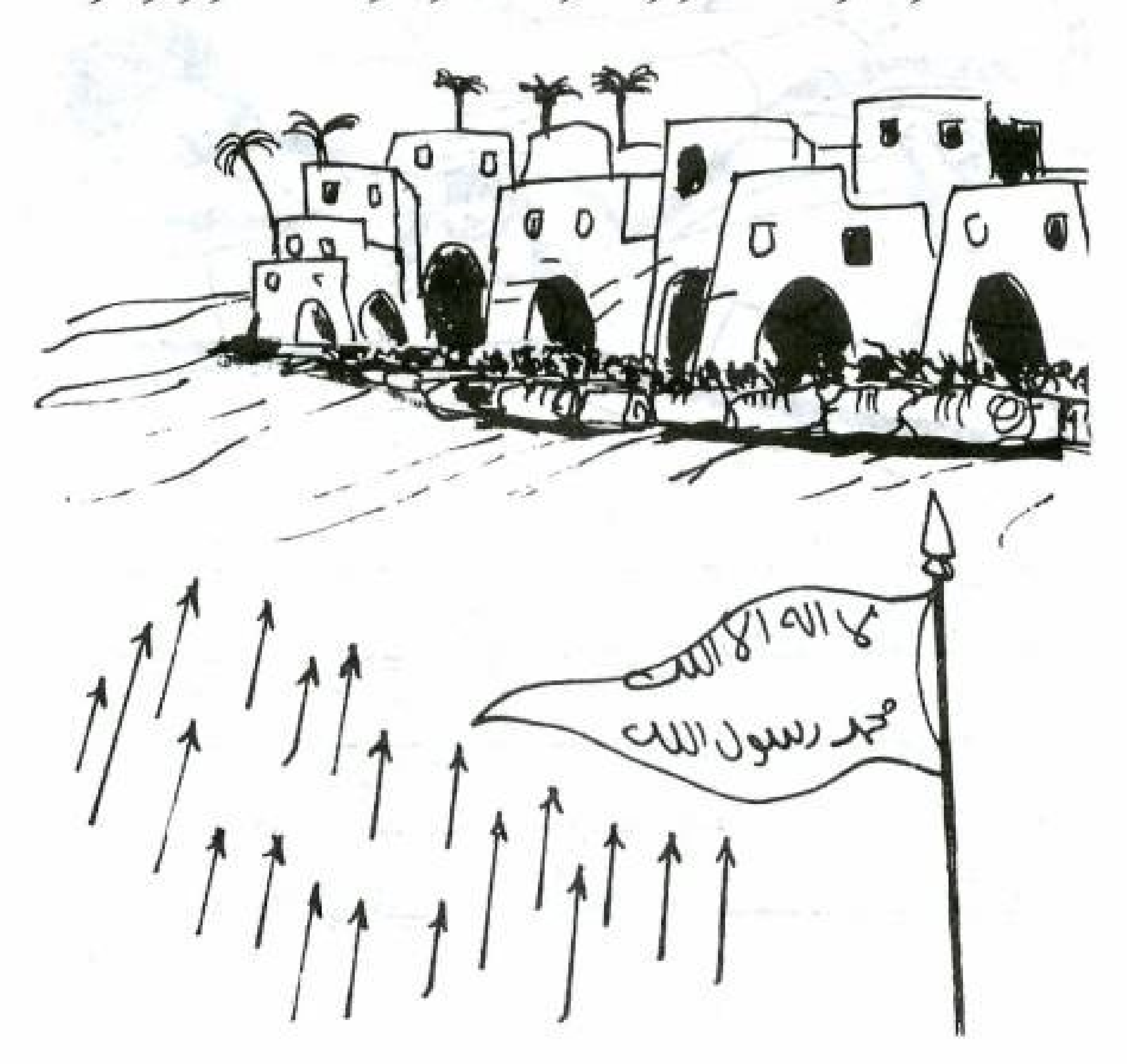
أَصَرَّ الْيَهُودُ عَلَى رَفْضِ الاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ الإِسْلاَمِ ، فَهَاجَمَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ وَادِى الْقُرَى ، وَاسْتَمَرَّ قِتَالُهُمْ يَوْمـاً وَلَيْلَةً حَتَّى اسْتَسْلَمَ مَنْ فِيهَـا بَعْدَ أَنْ قُتِلَ مِنْهُمُ الْكَثِيرُ ، وَفَتَحَ الْمُسْلِمُونَ وَادِى الْقُـرَى ، وَقَدْ غَنِمُوا الْكَثِيـرَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الأَمْوَالِ وَالْمَـاشِيَةِ ، وَقَدْ أَقَامَ النَّبِىُّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِى وَادِى الْقُرَى أَيَّاماً وَزَّعَ فِيهَا الْغَنَائِمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً





نصر اللّهُ المُسْلمينَ في وادى القُري ، وعَلِم بذَلكَ يهُودُ قبيلة «تيْماء» الّتي تبْعدُ عَن وادي القُري ، وقَد دبَّ الرُّعْبُ في قُلوبهم عندما بلغتهم أنباء هزيمة إخوانهم في خيبر ، واستسلام يهود فدك ، وأخيراً وادى القُرى ، فبعثوا إلي المُسلمين من تلقاء أنْفسهم، يطلبُونَ الصلح فقبل الرّسول صلى الله عليه وسلم ما دعوا إليه . وعَادَ النّبي والمُسْلمُون إلي المدينة ، وأَصبح ما يشغلُ بال رسُول اللّه صلّى اللّهُ عليْه وسلّم هم هؤلاء الأعراب الّذين يسطون على المُسْلمين أحياناً وينهبون أموالهم ويسلبون أشياءهم.

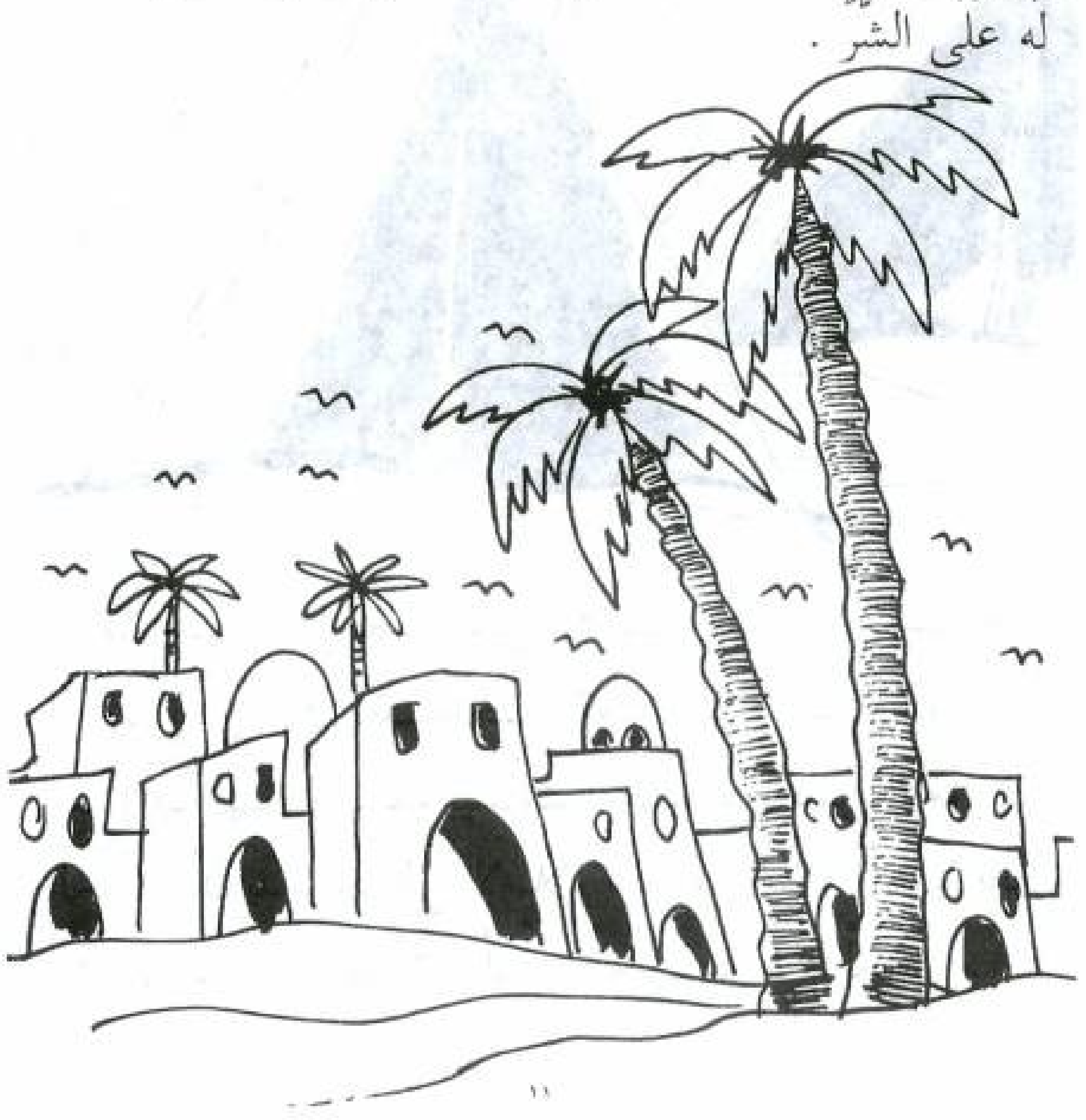
وَلَكِنَّ جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ قَدِ اقْتَرَبَ مِنْهُمْ،فَصَفَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ لِلْقِتَالِ،وَأَعْطَى أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَايَةَ الْمُهَاجِرِينَ،وَسَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَايَةَ الأَنْصَارِ، وَبَدَأَ الْفَرِيقَانِ يَتَرَاشَقَانِ بِالنِّبَالِ قَبْلَ الْتِحَامِ الْجَيْشَيْنِ لِلْقِتَالِ.

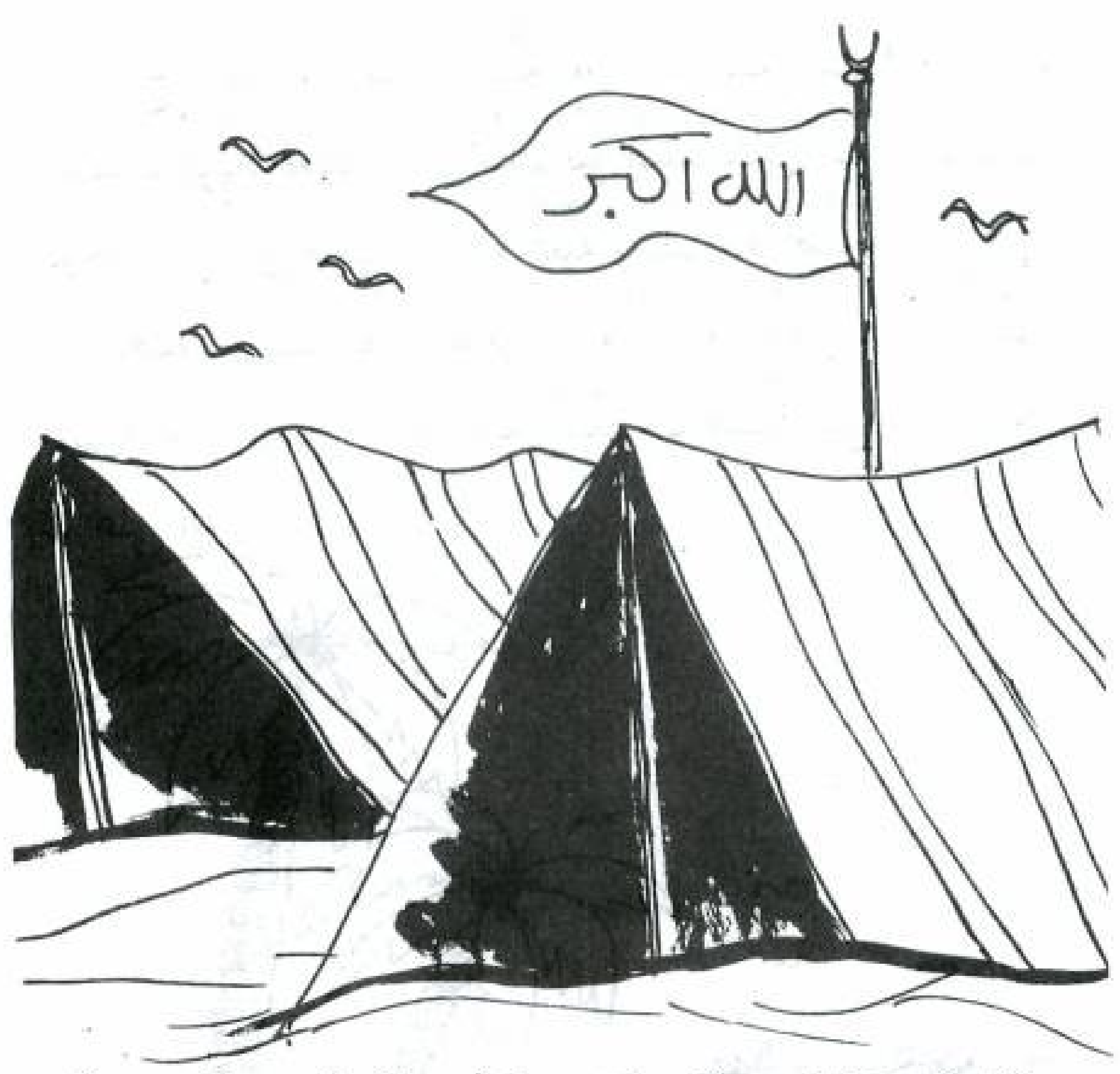




اسْتَمَرَّ التَّرَاشُقُ بِالنِّبَالِ بَعْضَ الْوَقْتِ، ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمُسْلِمِينَ بِالْهُجُومِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ هَجْمَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَارْتَبَكَ جَيْشُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ مِنْ نَصِيبِهِمْ فَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ عَدَداً كَبِيراً، كَمَا أَسَرُوا النِّسَاءَ وَعَدَداً غَيْرَ قَلِيلٍ مِنَ الرِّجَالِ. وَغَنِمُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَنْعَامَهُمْ.

وتزوّج الرّسول صلّى اللّه عليْه وسلّم بنْت الْحارث وسمّاها جويْرة، فعنْد ذلك أسْلم بنو الْمصْطلق جميعاً ومكث الرّسول صلّى اللّه عليْه وسلّم مع أصْحابه في بني الْمصْطلق أيّاماً بعْد الْمعْركة. وبعْد عام وفي نفس الشّهر علم الرّسول صلّى اللّه عليْه وسلّم أنّ قبيلة بني بكْرٍ ينوون له على الشّرّ.





لَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ بِخَبَرِ بَنِي كَلْبٍ بَعَثَ فِي طَلَبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَلَمَّا جَاءَ أَقْعَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ ،وَعَمَّمَهُ بِيَدِهِ ،ثُمَّ أَوْصَاهُ بِأَحْسَنِ الْأُمُورِ فِي الْحَرْبِ ،بِأَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ أَوَّلاً أَوْ بِإِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ ثَانِياً فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلْكَلَامِ وَأَرَادُوا الْحَرْبَ ،فَلْتَكُنِ الْحَرْبُ .

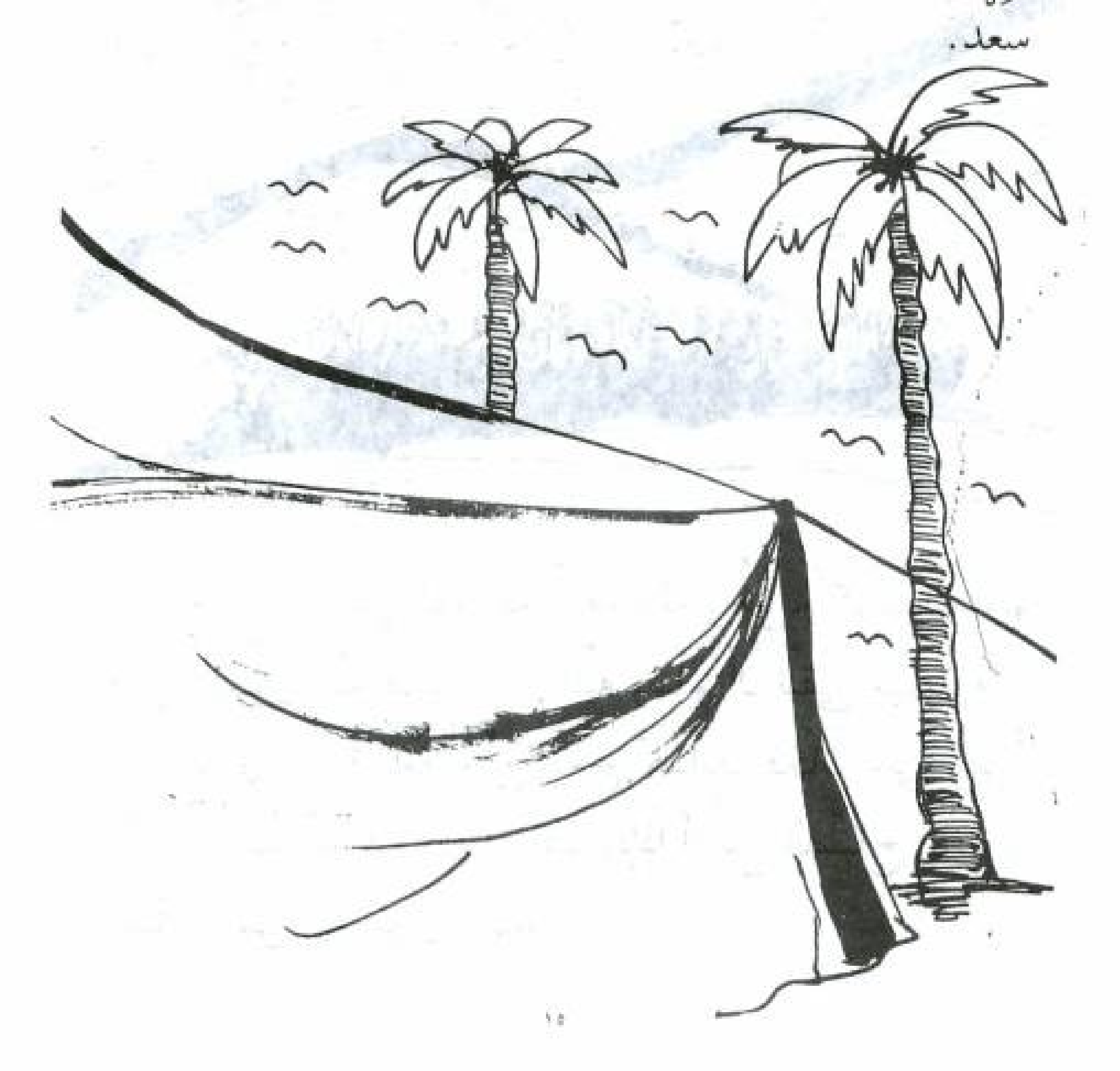
خَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يَقُودُ عَـــــدَداً مِنْ فُرْسَانِ الْمُسْلِمِينَ قَاصِدِينَ بَنِي كَلْبٍ ،فَوَجَدَهُمْ قَدْ أَعَـدُّوا أَنْفُسَهُمْ لِلْقِتَالِ ،فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ بَعْضَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَسْمَعَهُمْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَلَّمَ ،وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ،فَأَسْلَمَ رَأْسُهُمْ وَكَبِيرُهُـمْ ،فَتَبِـــعَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ وَأَسْلَمُوا .وَبَعْضٌ مِنْهُمْ رَفَضُوا الإِسْلاَمَ وَرَضُوا بِإِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ .





وتزوّج عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ تماضرَ بنتَ الأصبغِ، بنتَ رئيسِ سيدِ قبيلةِ بنِي كلْبٍ، ودخلَ بها في الفترةِ نفسِها من شهرِ شعبانَ، ولمْ تنتهِي الحربُ بإسلامِ بنِي كلبٍ، بلْ كانَ هناكَ قومٌ من بني سعدِ بنِ بكرٍ لا يزالونَ على الشِّركِ، ويخافونَ أنْ يحيقَ بهمِ الخطرُ بعدَ ما رأوْهُ من انتصاراتِ المسلمينَ. فراحوا يفكّرونَ في طريقةٍ يبعدونَ بها خطرَ الإسلامِ والمسلمينَ عنهمْ.

رأى بنو سعد أن اليهود يناصبون المسلمين العداء فبعثوا إليهم ليتفقوا فيما بينهم على إيذاء المسلمين، والعمل على عرقلة سير الإسلام، ووصلت أخبار هذا الإتفاق، وأبعاد هذه المؤامرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر على ابن أبي طالب أن يعد فرقة قوية من المسلمين لقتال بني سعد.





خرج عليّ رضى اللّهُ عنهُ ومعه مائة رجلٍ، وكـــان أهمّ أوامر رســولِ اللّه صلّى اللّهُ عليه وسلّم أنْ تبقى مهمّة هذه الـــفرقه فى سرية تامّة، حتى تنجح أهدافها، فكان عليّ رضى اللّهُ عنه يسير بفرقته باللّيل فقط، فإذا أصبح الصّباحُ اتّخذ له مخبأً وكمن فيه طوال النّهار .

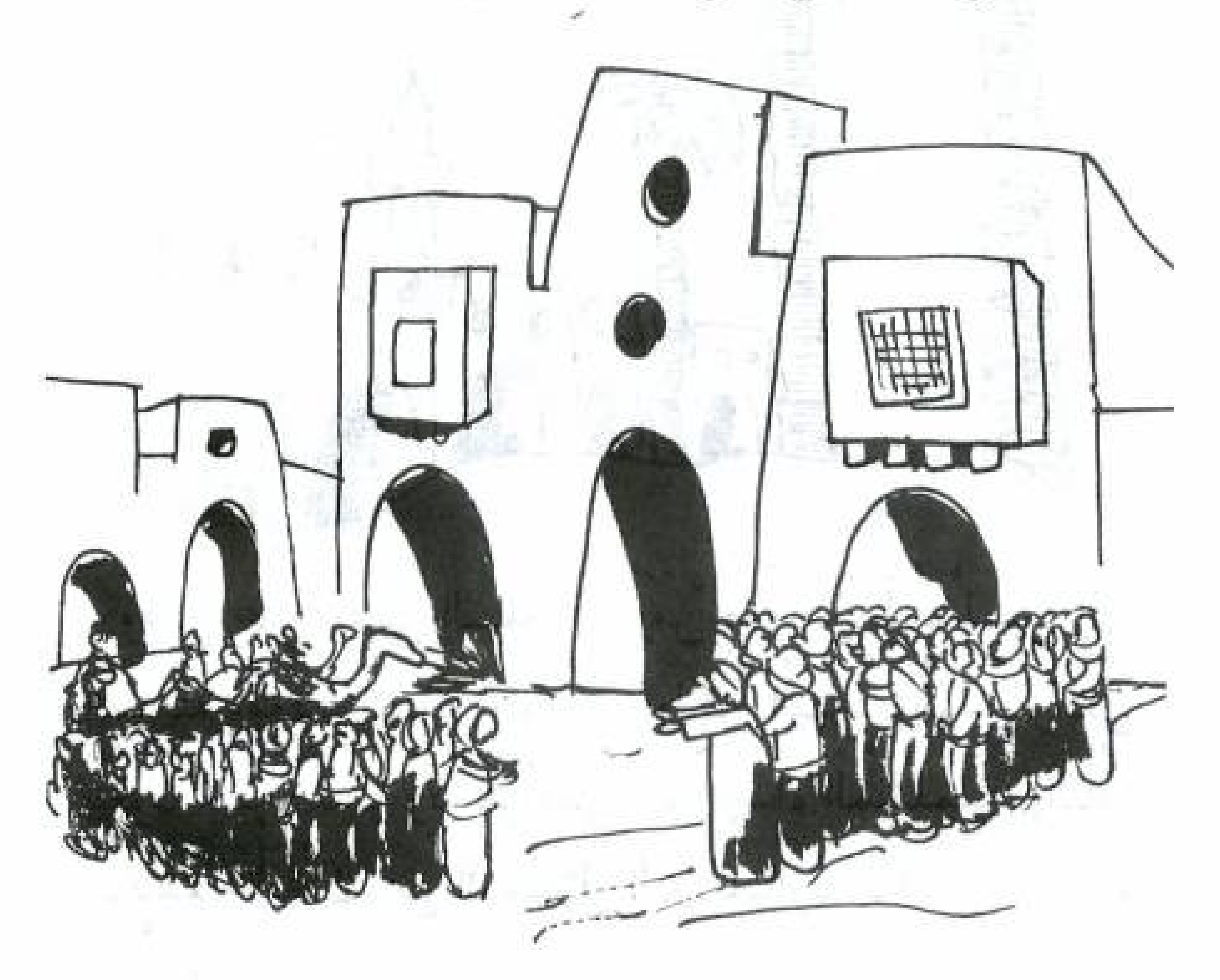
وَفَجَأَةً ظَهَرَ اثْنَانِ مِنْ فُرْسَانِ بَنِي سَعْدٍ مُنْطَلِقِينَ عَلَى جَوَادَيْهِمَا، فَأَسَرَهُمَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلِمَ مِنْهُمَا أَنَّهُمَا مَبْعُوثَانِ إِلَى يَهُودِ خَيْبَرَ، كَمَا اعْتَرَفَا أَنَّ هُنَاكَ اتِّفَاقاً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْيَهُودِ، يَقْضِي هَذَا الاتِّفَاقُ بِأَنْ يَمُدُّوهُمْ بِالتَّمْرِ وَالسِّلَاحِ فِي مُقَابِلِ نُصْرَتِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .





اسْتَدَلَّ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الأَسِيرَيْنِ عَلَى مَوْضِعِ تَجَمُّعِ قُوَّاتِ بَنِي سَعْدٍ، وَعَدَدِهِمْ، وَأَسْلِحَتِهِمْ، فَقَرَّرَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنْ يُدَاهِمَهُمْ وَهُمْ غَافِلُونَ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ فَجْأَةً، وَفَرَّ مُقَاتِلُو بَنِي سَعْدٍ يَطْلُبُونَ النَّجَاةَ هَارِبِينَ إِلَى الْجِبَالِ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ رَئِيسُهُمْ وَبَرُ بْنُ عُلَيْمٍ.

كَانَت غَنَائِمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي سَعْدخَمْسَمَائَة بَعِير وَعِدَّة آلَاف مِنْ رءُوس الغَنَم ،وَسَبْعِين أَسِير ،فَلَمَّا عَادَ فُرْسَان الْمُسلِمِين إلى بَنِي المُصْطَلِق كَانَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَم قَدْ عَادَ إلى الْمَدِينَة هُو وأُصْحَابه ،وكَانَ بَنو الْمُصْطَلِق قَدْ أَسْلَمُوا فَاستَقْبَلُوا الْفُرْسَان استِقْبَالاً حَسناً .





وَصَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَمَعَهُمُ الْغَنَائِمُ وَالْأَسْرَى ،وَلَكِنَّ الْيَهُودَ وَالْمُشْرِكِينَ يَبْغُونَ الشَّرَّ دَائِماً وَلَا يَتَوَقَّفُونَ عَنْ إِيذَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّآمُرِ ضِدَّهُمْ ،وَالْبَحْثِ عَنِ الْوَسَائِلِ الَّتى يَنَالُونَ بِهَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .

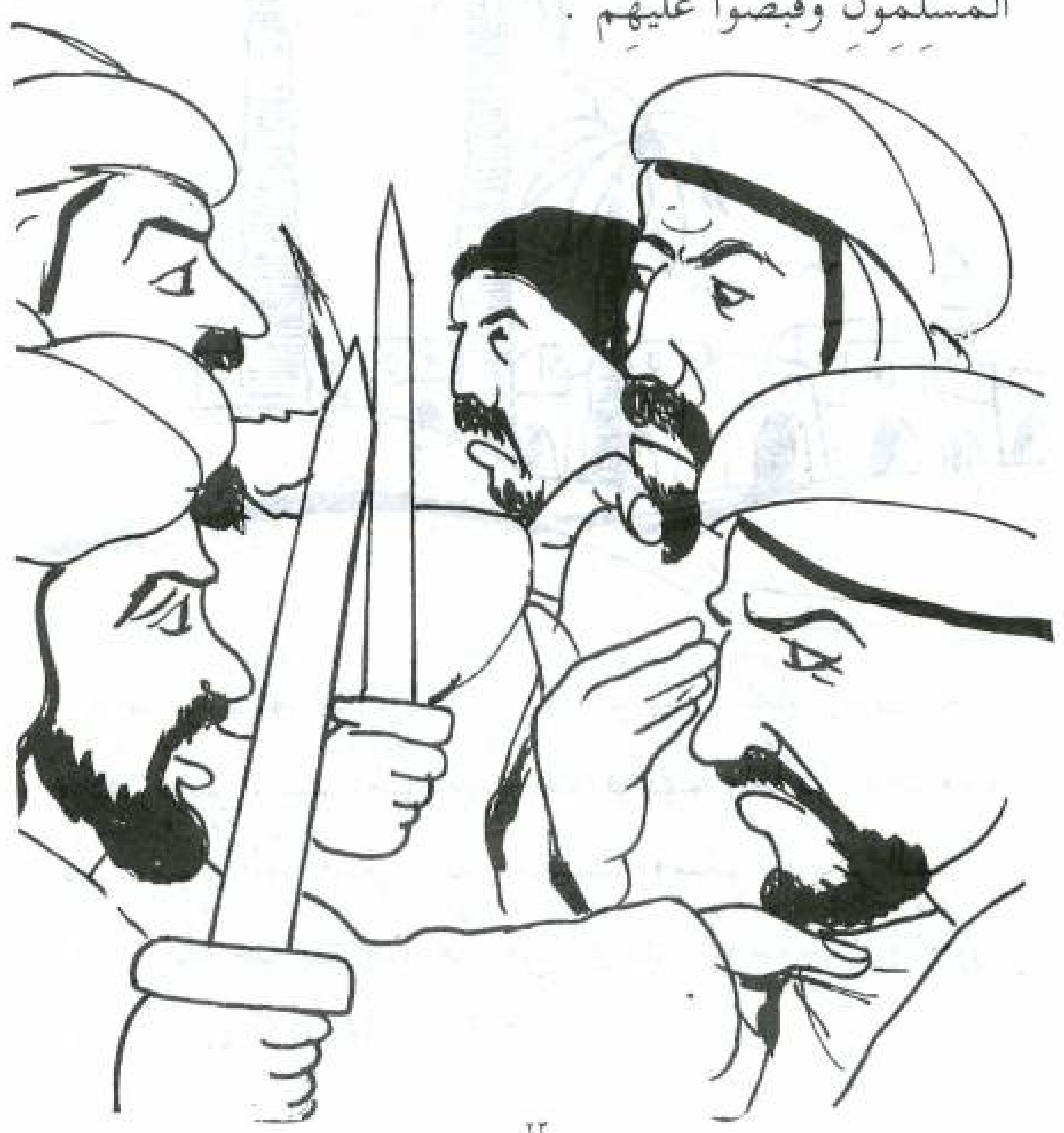
وَفِي مَكَانٍ بَعِيدٍ اسْمُهُ وَادِي الْقُرَي جَلَسَ الْمُشْرِكُونَ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنْ يَغْتَالُوا النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،وَكَانَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ قَدْ عَلِمُوا بِهَذِهِ الْمُؤَامَرَةِ فَبَعَثُوا بَعْضَ كِبَارِهِم إِلَى وَادِي الْقُرَى لِلتَّعَاوُنِ مَعَهُم فِي تَنْفِيذِ مَا يَتَّفِقُونَ عَلَيْهِ .





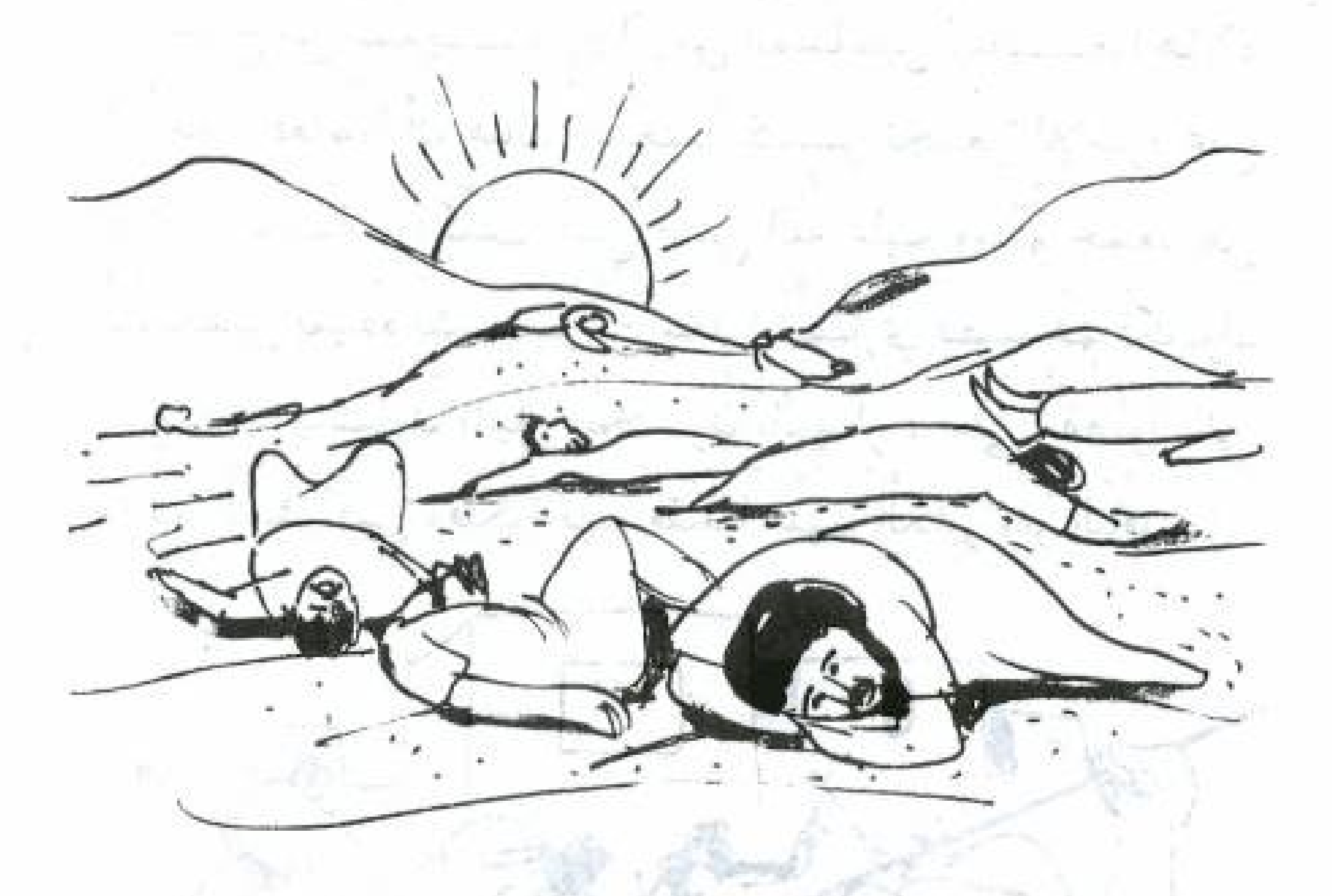
وَاتَّفَقَ الْفَرِيقَانِ عَلَى أَنْ يُرْسِلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ عَدَداً مِنْ رِجَالِهِمْ لِيَنْدَسُّوا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا حَانَتْ لَهُمُ الْفُرْصَةُ انْقَضُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَتَلُوهُ، وَبِذَلِكَ يَكُونُوا قَدْ أَصَابُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَعَزَّ مَا لَدَيْهِمْ.

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْصِمُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَحْفَظُهُ مِنْ كُلِّ مُؤَامَرَةٍ،وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةَ جَاءَ أَحَدُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْلَغَ النَّبِيَّ وَالْمُسْلِمِينَ عَمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْمُتَآمِرُونَ،وَعِنْدَمَا حَضَرَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ وَادِي الْقُرَى إِلَى الْمَدِينَةِ تَلَقَّاهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَقَبَضُوا عَلَيْهِمْ .





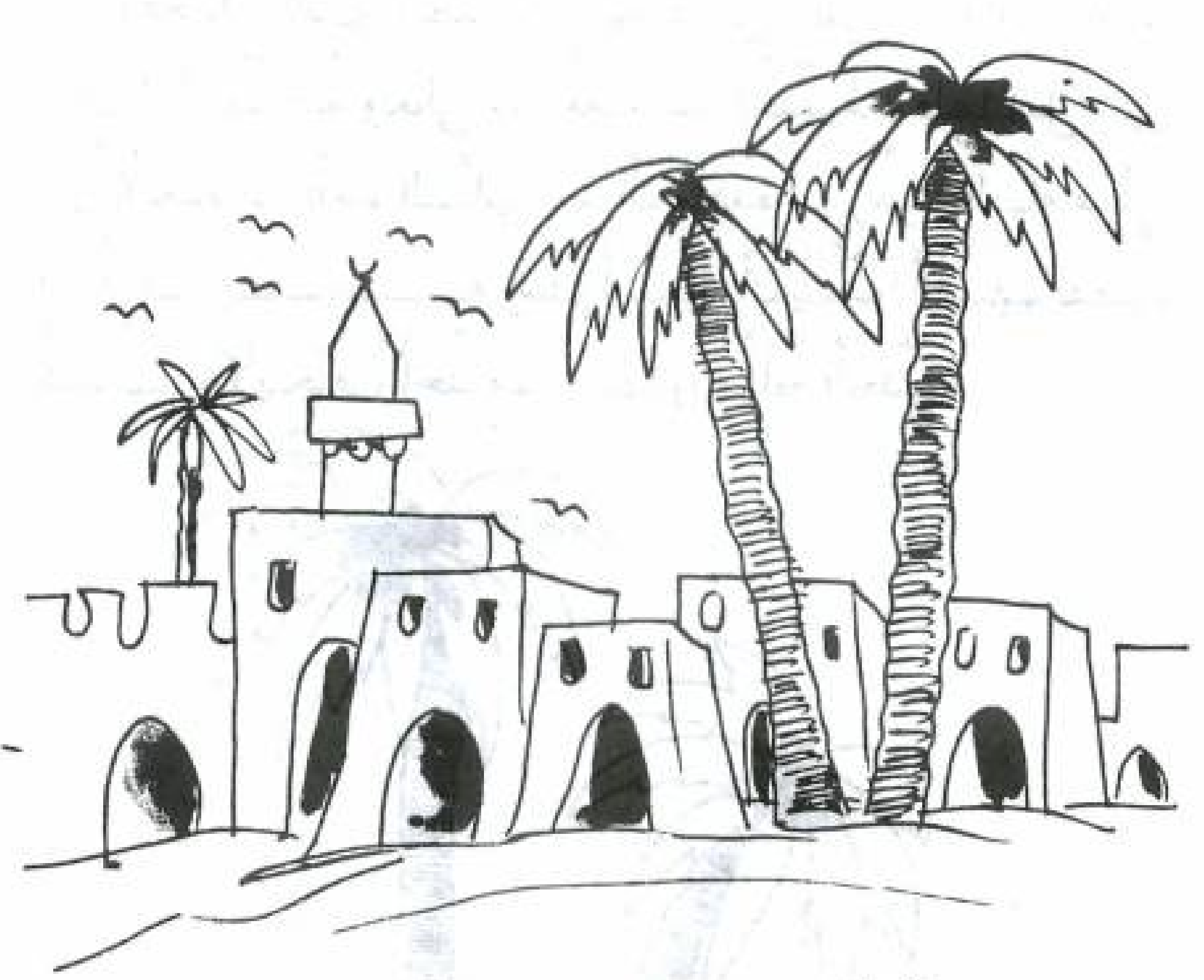
فَاعْتَرَفُوا بِالْمُؤَامَرَةِ، وَتَحَدَّثُوا بِمَا تَمَّ بَيْنَ كُفَّارِ وَادِي الْقُرَى وَكُفَّارِ قُرَيْشٍ، كَمَا أَخْبَرُوا عَنْ عَدَدِ قُوَّاتِهِمْ وَأَمَاكِنِ تَجَمُّعِهِمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِتَجْهِيزِ قُوَّةٍ مِنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْخُرُوجِ بِهَا لِتَأْدِيبِ كُفَّارِ وَادِي الْقُرَى .



وَاسْتَطَاعَ عَبْدُ اللَّهِ وَرِجَالُهُ أَنْ يَقْتُلُوا أُسَيْراً وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً ، وَنَجَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ شَرِّهِمْ ، وَقَدْ جُرِحَ أَحَدُهُمْ ، وَهُوَ الَّذِي كَادَ أُسَيْرٌ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَلَمَّا عَادُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُمْ : لَقَدْ أَنْجَاكُمُ اللَّهُ مِنْ شَرِّهِمْ وَلَمْ تَمْضِ أَيَّامٌ حَتَّى أَغَارَ عَلَى أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ وَفَرُّوا هَارِبِينَ وَكَانُوا مِنْ أَعْرَابِ يَمَنٍ وَجَبَارٍ « بِالْفَتْحِ » فِي أَرْضِ غَطَفَانَ.

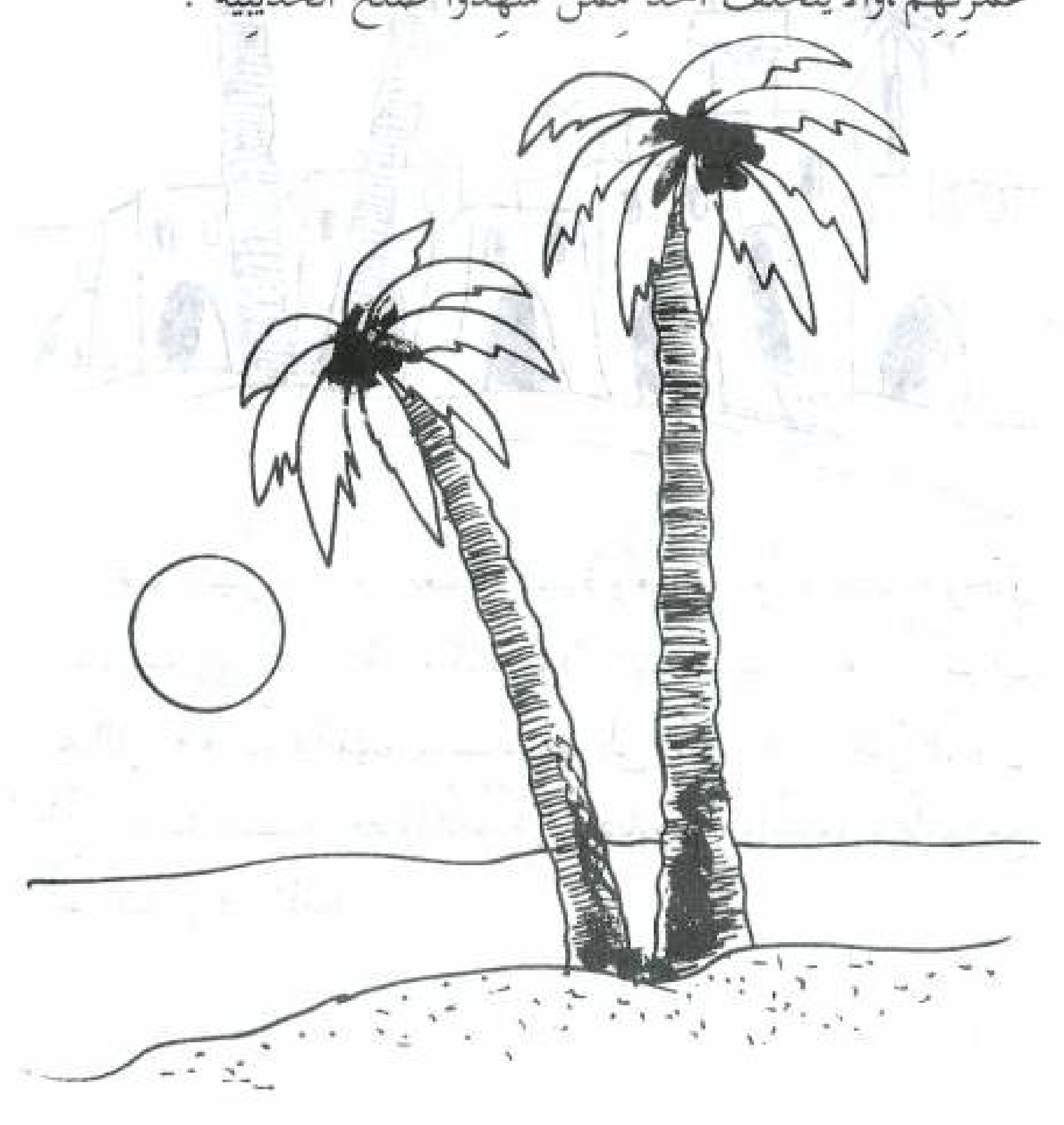
خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِيُتَابِعُوا هَؤُلاَءِ الأَوْغَادَ ، فَعَلِمُوا أَنَّ هُنَاكَ جَمْعاً كَبِيراً تَجَمَّعُوا لِلإِغَارَةِ عَلَى أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ ، فَكَلَّفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمْعاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ الأَنْصَارِيِّ لِصَيْدِهِمْ فَكَانُوا ـ كَالْعَادَةِ ـ يَسِيرُونَ بِاللَّيْلِ وَيَخْتَبِئُونَ بِالنَّهَارِ ، حَتَّى انْقَضُّوا عَلَى تَجَمُّعِ الْمُشْرِكِينَ وَفَتَكُوا بِهِمْ فَقَتَلُوا مِنْهُمُ الْكَثِيرَ وَفَرَّ الْبَاقُونَ .





غَنِمَ بشيرُ بنُ سعْدٍ نعماً كثيرةً وأموالاً ، وأسرَ ثمانيةَ رجالٍ وعادَ بهم إلى المدينةِ ، وكانَ هؤلاءِ الثمانيــــةُ من أشرافِ القبائلِ ، فبعثتْ قبائلُهم بفــديتهم إلى المدينة ، ولكنَّ الرجالَ الثمـــانيـــةَ رفضوا العودةَ إلى ديارِهم ، وأسلموا وعاشوا مع المسلمينَ في المدينة

وهكذا كانت انتصارات المسلمين على الأعداء متوالية بإذن الله سبحانه وتعالى منذ معاهدة الحديبية ، فلما أهل شهر ذى القعدة من العام التالى بعد المعاهدة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يعدوا أنفسهم لقضاء عمرتهم ،وألا يتخلف أحد ممن شهدوا صلح الحديبية .

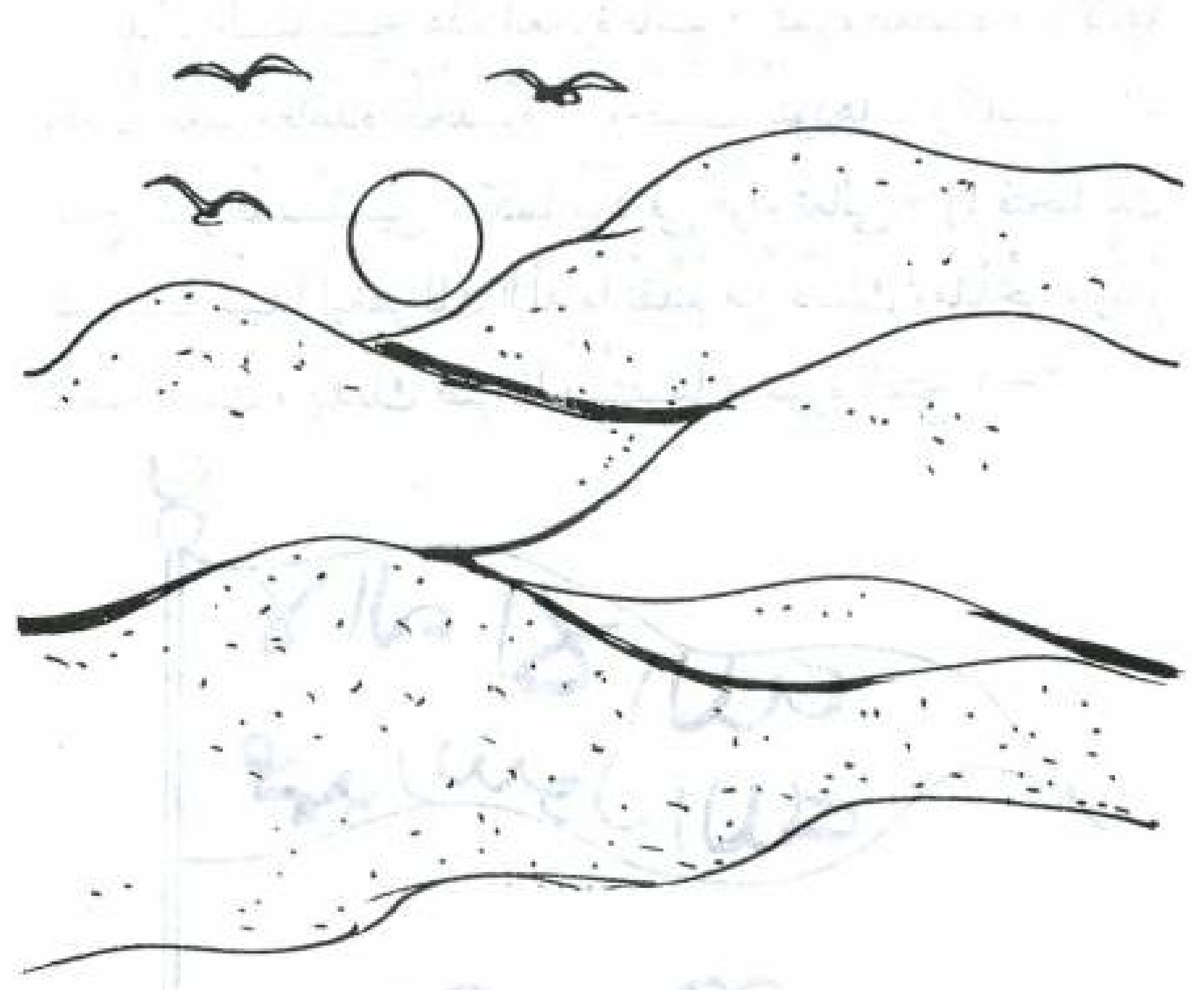




وَخَرَجَ الَّذِينَ شَهِدُوا الصُّلْحَ ، لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ إِلاَّ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ فَاسْتُشْهِدُوا فِي الْمَعَارِكِ السَّابِقَةِ ، وَخَرَجَ آخَرُونَ يَقْصِدُونَ مَكَّةَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ أَفْسَحُوا لَهُمُ الطَّرِيقَ حَسْبَ مَا تَعَاهَدُوا عَلَيْهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ دُخُولِهِ مَكَّةَ رَاكِبـــاً نَاقَتَهُ الْقَصْوَاءَ ، وَالْمُسْلِمُونَ حَوْلَهُ وَسُيُوفُهُمْ فِي أَغْمَادِهَا .

وَعِنْدَ دُخُول مَكَّةَ ارْتَفَعَ صَوْتُ الْمُسْلمين بالتَّلْبية وَالتكْبير : اللَّـهُ أَكْبَر اللَّـهُ أَكْبَر .. فَلَمْ يحتمل الْمشْركون رؤْية ذلك الْمَشْهَد فَخَرجوا إلَى جَبَل في شمَال الْكَعْبة يقال له «قعيقعان» حَتَّى لا يروا الْمسلمين وهم يطوفون بالْكَعْبة .





طَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكَعْبَةِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الطَّوَافِ سَعَوْا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الْمَرْوَةِ وَقَالَ: هَذَا الْمَنْحَرُ ، وَكُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ مَنْحَرٌ .. فَنَحَرَ عِنْدَ الْمَرْوَةِ وَحَلَقَ .. وَفَعَلَ الْمُسْلِمُونَ مِثْلَ مَا فَعَلَ .. وَأَقَامَ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ بِمَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَغَادَرُوهَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ حَسَبَ الْمُعَاهَدَةِ.

يَذْكُرُ التَّارِيخُ هَذِهِ الْعُمْرَةَ باسْمِ « عُمْرَةُ الْقَضَاءِ » ، لأَنَّهَا وَقَعَتْ بَعْدَ مُعَاهَدَةِ الْحُدَيْبِيَةِ ، وَحَسَبَ بُنُودِهَا.. وَكَانَتْ بِدَايَةَ لِفَتْحٍ كَبِيرٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، كَمَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَاتَأَخَّرَ ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً » سورة الفتح ١ – ٢ .

